



حسنا فعل رئيس المجلس الوطني السوري عبد الباسط سيدا حينما دعا الطائفة العلوية والمسحيين السوريين إلى الوحدة الوطنية ومد لهم يد الإخاء، وشجعهم، أو شجع المتردد منهم، على الانضمام للثورة السورية، خصوصاً أن النظام بدأ يتهاوى بشكل سريع بعد انشقاق رئيس الحكومة رياض حجاب، وهو رئيس الحكومة الذي أعلن بشار الأسد أمام أعضائه، أن نظامه يعيش حالة حرب للمرة الأولى.

الشخص، كشخص، قد لا يكون مهما، فهو مجرد موظف حكومي، رفيع، لكن موقعه الجديد، كرئيس للحكومة، وفي هذا الظرف العصيب، هو الذي يعطي قيمة كبيرة للانشقاق.

ساعة النظام الرملية تتسرّب حبات رملها سريعا نحو القاع، المتبقّي من الزمن ثوان، لكنها الثواني الأصعب والأخطر، ثوان من الدم والعصبية، والنار، والأحداث المفاجأة، ثوان سترسم ملامح سوريا المقبلة، ثوان من إعادة الخلق والتشكيل، لن تتكرر لاحقا، فهي ثوان من سيوجّد فيها فاعلا، سيظل فاعلا، فردا كان أو حزبا أو تيارا جديدا، ومن يغب عن هذه الثواني، فسيطّول غيابه، ومن يتريث ستكون فاتورة عودته للحلبة السياسية باهظة ومكلفة.

ميزة الثورة السورية، ومزايّها كثيرة، هي أنها قد سبقت بما جرى في ليبيا وتونس ومصر واليمن، ربما كان الدم الساخن الذي دفعه الثورة السورية مدة نحو العامين من عمرها، هو على ألمه، فرصة لمخططي الثورة السورية وقادتها من أجل تجنب الأخطاء التي وقع فيها غيرهم في هذه البلدان، فالسعيد من اتعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره.

هل يعني هذا أنه يمكن مطابقة المشهد بين كل هذه البلدان، على طريقة النسخ واللصق؟ طبعا لا، وقد مارس بعض الكتبة العرب، وبعض المعلقين، حتى من الغرب، هذه الطريقة الخفيفة في مطابقة كل المشاهد العربية الثورية ببعضها، حتى إن

هناك من كان يقول هذا الزعيم خطب ثلاث خطب ثم خلع، وفلان خطب خطبة واحد وبقي له خطبتان، حتى يخلع! وهكذا في طريقة انفعالية كاريكاتيرية. مارس وما زال، كثير من المثقفين العرب، الهاجف والتصفيق والأدعية، لهذه الثورة أو تلك، دون أن نجد في ركام الحكى والنصوص المكتوبة أثارة من فهم أو تفهيم، إلا قبسات يسيرة في حلقة الظلام الصاحب. يقال إن المشهد في سوريا كالمشهد في ليبيا مثلاً أو العراق، على اعتبار أن ما جرى في هذين البلدين هو الأقرب لسوريا، لجهة التنوع والاحتراب الطائفي، في العراق، والقبلي الأصولي، في ليبيا، وتتوفر السلاح في البلدين، وكذلك المجاميع الأهلية المقاتلة، وفوق هذا وذاك، حالة «الجهاد» التي سيطرت على الشبان المقاتلين في كل هذه البلدان، ضد الحكم الموجود.

حسناً، هذه أوجه شبه معتبرة، لكن هل هي كافية؟

الحق أن القول بالتطابق يبدو مغرياً في هذه الحالة، ولكن للنظر من بعيد، فنحن نرى أن النسيج السوري أكثر تعقيداً من العراق ولبيباً بطبيعة الحال، فأكبر وجود مسيحي في الهلال الخصيب هو في سوريا، وكذلك أكبر وجود للطائفة العلوية، في الهلال الخصيب، هو في سوريا، ناهيك عن التنوع العرقي من خلال الأكراد والتركمان والشركس، وغيرهم، وكذلك التنوع داخل الطائفة المسيحية، وفوق هذا وذاك التاريخ المديد من «التمدن» السوري خصوصاً في حواضرها الكبرى، دمشق وحلب، وللنظر في التاريخ السياسي الحديث في سوريا أن يرى رموزاً وطنية من شتى الاتجاهات تنتهي لكل المكونات السورية، من فارس الخوري إلى سلطان الأطوش إلى صالح العلي إلى مردم بك والجابري والقوطي، وغيرهم.

في الثورة السورية نفسها هناك أسماء حملت أرواحها على أكفها نصرة للثورة السورية، لدينا الروائية السورية المقاتلة سمر يزبك، وهي تنتهي اجتماعياً إلى الطائفة العلوية، لكنها مشبعة جداً بالروح الوطنية الثورية، وهي كما حدثتنا في اجتماع مع بعض الزملاء الصحافيين، ترى أن عائلة الأسد قد اخطفت الطائفة العلوية، وعسّرها مشايخها، وهي، أي سمر، قد أخبرتنا أن ما يهمها الآن هو تكريس التماسك الوطني وتحقيق السلام الاجتماعي، وقد قاتلت بمبادرات عملية على الأرض لتحقيق هذا المعنى من خلال التفاعل مع القيادات الاجتماعية والروحية للطوائف، من طرفها قاتلت هي بمخاطبة القادة الاجتماعيين للطائفة العلوية، وهي قد أخبرتنا أن هناك تجاوباً من حيث المبدأ، وأن هؤلاء القادة الاجتماعيين (المشايخ) لا يهمهم أمر بشار الأسد وعائلته، لكنهم ببساطة «خائفون» من المستقبل، ويعتقدون أن هناك «ورطة» أوقعهم بها النظام الأمني الأسدية، وهناك صعوبة في تلمس طريق الخروج منها، إضافة للخوف من لغة التكفير والتطهير التي يقوم بها بعض المقاتلون في صفوف الجيش الحر أو الكتائب المنسوبة إليه.

هنا يجب علينا أن نكون واقعيين، ننظر بعين العقل لا بعيون العواطف، وكاتب هذه الأسطر كان وما زال من أكثر الناس حماسة لسقوط هذا النظام القبيح، بل وأعتقد أنه هو من أطلق وحش الطائفة من صدور الجميع، عاماً أو جاهلاً، لا فرق،اليوم أزيد أني لن أتفاجأ لو وقعت أخطاء بل «خطايا» من قبل الثوار الآن، وبعد النصر وسقوط النظام القبيح، فأنت لا تستطيع ضبط الجميع، وهناك إرث مديد من الحقد والثارات، ودوماً بعد سقوط الأنظمة القمعية الشمولية تحصل حالة من الانفلات وتطبيق العدالة باليد، وهو «ميشياوي» هذا سيكون، للأسف، مهما حذرنا ومدحنا لغة ساسة الثوار.

السؤال هنا، هل سيتم رسم خطة عملية للحد، ولا أقول لمنع، من التداعيات السلبية لسقوط النظام القبيح الشمولي؟ يجب أن نعترف أن هناك من وقف مع بشار الأسد ونظامه ليس حباً فيه، ولكن خوفاً من المجهول، وهناك من وقف معه بمحض إرادته خوفاً من تفشي الانتقام وإعادة رسم الثقافة السورية، خصوصاً أن هناك من تبني لغة دينية تكفيرية في تعبئة من يقاتل أو يقف ضد أسد القبح والإجرام، بشار.

هذا الاعتراف صحي، ويساعد على القيام، من الآن، بخطوات وقائية «للتخفيف» من ألم المرحلة الانتقالية، يجب تطمين الجميع، تطمئناً عملياً و حقيقياً، وليس عبر البيانات المنمقة، بل عبر النزول إلى الأرض، والخاطب مع مخاوف الناس بصراحة، في كل مكان من سوريا، يجب أن يفهم الناس، أن المقبل في سوريا ليس نظام انتقام، ولا «ثارات» كربلاوية، بل

نظام عدل وقانون، وحتى تراحم.

ما دمنا في شهر رمضان، فليتذكّر المُتدينون وغيرهم في صفوف الثورة السورية مقوله نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام حين دخل مكة فاتحاً، وكان صناديد قريش الذين أبدوا صنوف العداوة والإيذاء لل المسلمين، في غاية الخوف من الانتقام، لكن المقوله التي نزلت عليهم بربا وسلاماً كانت: «انهبو فأنتم الطلقاء». وطويت صفحة المرحلة العدائية كلها.

هكذا يجب أن تكون الروح البنائية، على الرغم من كل الألم وال بشاعات التي مارسها هذا النظام القبيح، الذاهب قريباً إلى المقبرة.

المصدر: [سوريون نت](#)

المصادر: